مجال القيود على الشراء والتكنولوجيا، ليس من الضروري، في الحرب، ان تكون الوسائل ـ الاسلحة ـ كلّها ذات نوعية من الدرجة الاولى؛ فالاستخدام الواعي والذكي لوسائل قتال ذات نوعية مختلفة، يمكن ان يحقق النتائج المرجوة. أي ان حجم القوة وحجم نوعيتها يجب ان يتوافقا وينسجما مع القدرة على تأمين الموارد. والنتيجة التي يفضي اليها هذا الاستنتاج هي الدعوة الى اعطاء الاولوية لقيود الميزانية، في ما يتعلق ببناء القوة.

## عناصر النوعية كمضاعفات للقوة

لا خيار، اذاً، لدى اسرائيل، حتى في مواجهة القيود الداخلية، الّا اعتماد التفوق في النوعية، بل وأساساً بسبب تلك القيود ذاتها. والمغزى الرئيس لهذا التحدي الذي أشارت اليه المجموعة الرابعة، والاخيرة، من البحث، يمكن تلخيصه في «ان تستطيع استغلال مواردك بصورة تفوق قدرة عدوك على استغلال موارده». وفي العناوين الاكثر تفصيلاً، فان هذا الاستغلال يعني القدرة على تعبئة الطاقة البشرية بصورة مثلى، واستغلال اكثر ملاءمة للموارد المالية، والاستفادة القصوى ممّا تتيحه التكنولوجيا، والاكتساب الصحيح للخبرة المهنية والعلم، والفعالية التنظيمية التي تتيح المرونة العملياتية للقوات بالقيام بالرد الفوري، والملائم، في اعقد الظروف. ان كل هذه الامور هي، في المحصلة، ما يمكن تسميتها بمضاعفات القوة.

ولا شك في ان تفوق اسرائيل على خصومها في هذا المجال، انما هو نتيجة للتزاوج بين عوامل اجتماعية وثقافية وعسكرية، تتيح لاسرائيل ان تجعل من استفادتها من هذه العناصر احد الخيارات والبدائل الممكنة، في مضمار صراعها مع الدول العربية. فالاستخدام المرن للطاقة البشرية يعكس، أساساً، احراز المجتمع نصيباً متقدماً من العصرية والتنظيم. اما تأثير العوامل النظرية العسكرية، فهو يتجلى بالقدرة على الاستخدام المرن لاجهزة القيادة والسيطرة، والاتصال في ميدان القتال بنظم تتيح دفقاً للمعلومات بصورة سريعة، والابتكار في مضمار الاستفادة من المزايا التقنية.

وأشار التركيز على نظرية «قيادة تسترشد بالمهمة»، التي يلحّ عليها عدد من هذه المقاربات، باعتبارها تمثل مخرجاً لمشكلتي الرقابة والتخطيط، الى اعطاء الاولوية للمهمة على التمسك بالخطة، والميل نحو اللامركزية، بافساح المجال للقيادات والرتب المحلية، الميدانية، للرد على متغيرات طارئة في ميدان القتال، من دون الحاجة الى الحصول على قرارات وتوجيهات مركزية. وهذه النظرية تشكل، بصورة موازية، حلاً لمشكلة دفق المعلومات أيضاً. ويقتضي هذا الاسلوب الحد من الانضباط والتزمّت العسكري، وتنمية الاستقلال في التفكير والانتقاد في اثناء عملية التثقيف والتدريب في الجيش، وايجاد حلول عملية للمؤثرات السلبية الناشئة من طبيعة المأسَسَة في النظام العسكري. ولذلك، فان من الضروري ان يصار الى تعديل انماط التثقيف، والتدريب، والتربية.

مروحة الخيارات والحلول التي طرحها المداخلات الاخيرة قد تكون اكثر فصول البحث حيوية واهمية؛ ذلك ان الحلول والابتكارات النظرية المطروحة، هنا، تقدم حصيلة متنوعة، ومكثفة، للخبرة التي استمدها الفكر العسكري الاسرائيلي خلال تجاربه الطويلة. وهي تشير، في الوقت عينه، الى انماط النظم، والخطط التي يمكن ان يكون الجيش الاسرائيلي بصدد ادخالها، أو تعديلها. وبصورة اجمالية، فهي مؤشر الى قياس العملية التي يتمّ بها هضم، واستيعاب، نظريات وافكار عسكرية حديثة، وتطويعها في سياق معالجة مشكلات نموذجية يعاني منها الجيش الاسرائيلي.

### الحيلة التكنولوجية

يعتقد د. مئير بأعيل، بأن على اسرائيل ان تعترف بحقيقة انها ستظل دولة صغيرة ومحدودة الموارد. ولذلك، فان التحدي الامني عندها يكمن في تحقيق الانتصار بمساعدة ما هو متاح، فعلاً، لها، طالما انه لا يوجد لاسرائيل أمل في المنافسة في السباق الكمي مع العرب، ولا حتى في شراء وسائل قتالية حديثة. ومن الناحية النظرية، يمكن تحقيق ذلك، أولاً، بالخروج من ضيق الافق المحيط بنظرية قطبي التعاظم الكميّ، من ناحية، وتحديث وسائل القتال، من ناحية أخرى، لأن هذه الدائرة الفكرية تتجاهل ابعاداً أخرى، يمكن ان يحقق استخدامها فائدة